

## المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر

ما بين 1741 و 1802

الأستاذ: قندوز عبدالقادر

جامعة ابن خلدون تيارت

### الملخص:

أثار الاحتلال الفرنسي للجزائر في 05 جويلية 1830، عدة تساؤلات حول النوايا المسبقة للغزو، فرغم أن التقارير الفرنسية ذكرت أن الاحتلال كان بسبب حادثة المروحة الشهيرة، إلا أن واقع العلاقات الجزائرية الفرنسية يثبت عكس ذلك، حيث نجد أن هناك عدة مخططات ومشاريع فرنسية سبقت تلك الحادثة، ومن بينها مشاريع في القرن الثامن عشر ميلادي وبداية القرن التاسع عشر ميلادي، وهذا ما سنحاول توضيحه في بحثنا هذا بالتطرق لأهم تلك المخططات. الكلمات المفتاحية: الجزائر، نابليون، الدولة العثمانية، الاحتلال، القنصلية، فرنسا، الدايات، البحرية الجزائرية، الامتيازات.

### Abstract

The French occupation to Algeria on July 5th, 1830, provoked several questions on the prior intentions of the invasion, where French reports indicated that the occupation was the cause of the incident of the famous fan but the reality of the Algéro-French relationships proved the contrary, where there were several programs and projects before the occupation, and others not mentioned were in the 18th century and the beginning of the 19th century, and you find much enlightenment in our research.

### مقدمة:

إن الدراسات الحديثة للعلاقات الفرنسية الجزائرية تكاد تجزم ان المحاولات الفرنسية لاحتلال الجزائر لم تبدأ خلال القرن 19م، وإنما ترجع إلى عهود سابقة

بداية من عهد ملك فرنسا لويس التاسع "Louis IX" أي منذ القرن 13م، لتتوسع الى مشاريع بعد حصول فرنسا على امتيازات في السواحل الجزائرية في القرن 15م في الباستيون و القالة خلال حكم سليمان القانوني وفرنسوا الأول "François 1<sup>er</sup>"، فكانت تلك الامتيازات الاقتصادية بوابة أطماع حقيقية سعت فرنسا الى تحقيقها، عبر قنصلها وقادتها العسكريين، الذين كانوا يعدون مشاريع مبنية على مخططات وتقارير تهدف كلها للاستيلاء على إيالة الجزائر تحت كل المسميات والمبررات.

ولم يكتب النجاح لكل تلك المشاريع لظروف فرنسا الداخلية والخارجية غير المواتية، إضافة إلى قوة الإيالة الجزائرية التي فرضت قوتها على البحر المتوسط، وافشل اسطولها القوي كل المحاولات الأوروبية السابقة من أجل احتلالها، وعندما ضعفت الجزائر بعد 1827 وتوفرت لفرنسا الظروف الملائمة لتنفيذ مشروع الاحتلال، اختارت مشروع الجاسوس بوتان لتنفيذه على أرض الواقع وسيرت به حملة نحو الجزائر لغزوها عام 1830.

وفي هذا البحث سنتطرق إلى فترة معينة من فترات التآمر على احتلال الجزائر من 1741-1809، باعتبارها أهم المراحل التي تكشف خلفيات الغزو الفرنسي والنوايا المسبقة للاستعمار.

### الأوضاع العامة في الجزائر خلال القرن 18م:

إن قوة البحرية الجزائرية في تلك الفترة، لم تمنعها أن تكون عرضة لهجمات إسبانيا والبرتغال<sup>(1)</sup>، بالإضافة إلى وجود الكثير من المشاكل والاضطرابات على الصعيد الداخلي، ولعل أبرز حدث ميز الوضع السياسي الداخلي بالجزائر خلال القرن 18، هو الفتح الاول لمدينة وهران في 20 جانفي 1708 على يد الباي مصطفى بوشلاغم، الذي انتقل من معسكر إلى مدينة وهران، حيث جعلها مقرا لحكمه<sup>(2)</sup>، فبالرغم من هذا النصر العظيم بطرد الأسيان إلا أن الجزائر كانت تعيش مرحلة من الاضطرابات السياسية والقتال الداخلي، كصراع الدايات على السلطة وتحكم

(1) عزيز سامح أتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 599.

(2) محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تق وتع المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 159.

الطبقة العسكرية في الحكم وتناحرها فيما بينها، مما أدى إلى اغتيالات متكررة في صفوف الدايات والجنود الأتراك.

كل ذلك جعل الدولة العثمانية تتدخل في شؤون الجزائر في محاولة منها لاسترجاع نفوذها، هذا الأمر أثر على سلطة الدايات، وفتح الباب على مصراعيه لظهور التمرد والعصيان<sup>(1)</sup>، كعصيان باي الشرق الذي أمره الدايا سنة 1710 أن يحضر ضريبتها إلى الجزائر، لكنه عصى الأمر وجمع النقود وتوجه إلى مكان مجهول، مما صعب الأمر على الدايا في دفع أجور الإنكشارية<sup>(2)</sup>، الذين ثاروا على الدايا محمد بكداش 1710 فقتلوه، وعينوا مكانه دالي إبراهيم<sup>(3)</sup>.

كما تمرد كراغلة تلمسان بالموازاة مع اضطراب السلطة بمدينة الجزائر، حيث أعلنوا قيام سلطة مستقلة، ودعوا إلى السلاح ضد السلطة في العاصمة، وقد قُمع هذا التمرد بالحديد والنار وطالت هذه الاضطرابات بعد موت الدايا إبراهيم كوشوك (1745-1748) مسموما، وقد خلفه الدايا الطورطو<sup>(4)</sup> الذي لقي نفس المصير في 11 ديسمبر 1754 إثر مؤامرة حاكها ضده مجموعة من الجنود، إضافة إلى ثورة بلاد القبائل التي هاجمت برج بوغني في 16 جويلية 1756<sup>(5)</sup>، أما عصيان أهل

(1) يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2 الجزائر الحديثة، ط2، د م ج، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص48.

(2) جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، ط خ، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للنشر وتوزيع عالم المعرفة، 2009، ص382.

(3) محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،

ط2، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ش و ن ت، الجزائر، 1981، ص 31.

(4) الطورطو (محمد بكير باشا 1748-1754) داي الجزائر كانت علاقته مع فرنسا متوترة خاصة بعد قتل قائد سفينة فرنسية، فاغتاله الجندي المدعوزان علي بحجة إنقاذ الجزائر من الحرب مع فرنسا، ينظر:

- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، م وك الجزائر، 1986، ص 50.

(5) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، ن.ت دار الألفية، قسنطينة، الجزائر، 2013، ص ص252-253.

جبل فليسة 1767 كان بسبب منع دفع الضريبة للأتراك في عهد الداوي محمد عثمان باشا (1766-1791) الذي قضى على هذا التمرد<sup>(1)</sup>.

وبسبب ضعف سلطة الداوي في الجزائر وتدهور الأوضاع الداخلية، جدد الأسبان الكثرة على وهران واحتلوها عام 1732 لمدة 60 عاما<sup>(2)</sup>، والتي تم استعادتها وفتحها للمرة الأخيرة سنة 1791 من يد الأسبان بعد حصارها، وانتقل إليها الباوي محمد الكبير<sup>(3)</sup> الذي عمرها وبني فيها المساجد<sup>(4)</sup>.

أما في الجهة الشرقية فقد كان صالح على رأس باييك قسنطينة مدة 22 سنة تقريبا، فقد عينه الداوي محمد بن عثمان سنة 1771 بايا على الشرق وقد تمكن من إخضاع بايليك الشرق فحارب زواوة سنة 1772، وأولاد نايل وأخضع الدواودة في بسكرة 1774، و فرجيووة 1781، كما تعرضت الجزائر في سنة 1775 إلى حملة أوريلي "oreilly"<sup>(5)</sup> على مدينة الجزائر<sup>(6)</sup>.

ويمكننا القول أن الطابع العام للوضع السياسي في الجزائر طيلة القرن 18 تميز بعدم الاستقرار في دوائر الحكم خاصة بعد غياب النفوذ المباشر للباب العالي في الجزائر، فتصرف الدايات بكل حرية تسيير شؤون البلاد، هذا فتح الباب على مصراعيه أمام الطموحات الشخصية لقادة الجيش البري والبحري وحكام البايكات الثلاث، للوصول إلى السلطة والاستئثار بمداخل البلاد، وكان هذا الصراع بكل

(1) توفيق المدني، نفسه، ص 101.

(2) يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية، ط.خ، ن.ت دار البصائر، حسين داوي، الجزائر، 2009، ص 63.

(3) الباوي محمد الكبير: من أشهر وأعظم بايات الأتراك بالولايات له الدور الكبير والحاسم في تحرير وهران من الإسبان بفضل حسن تخطيطه، ينظر: جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، ط.خ، بوزارة المجاهدين، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، ص 300-301.

(4) الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الحاج شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، ط2، تح أحمد توفيق المدني، ش.و.ن. ت، الجزائر، 1980، ص 63.

(5) أوريلي: ضابط أرلندي كلفه الملك الإسباني كارلوس الثالث بحملة بحرية على الجزائر ووصلت الحملة في 31 جويلية 1775 ونزلت غرب واد الحراش، وفشلت في النهاية. ينظر: بوعزيز،

الموجز...، المرجع السابق، ص ص 72-73.

(6) صالح عباد، المرجع سابق، ص 277.

الطرق من التآمر إلى الاغتيالات والانقلابات والتمرد التي أصبحت السمة الغالبة في هذه الحقبة .

### العلاقات الفرنسية الجزائرية خلال القرن 18 م:

1- مظاهر السلم والتعاون : عرف التعاون بين الجزائر وفرنسا أوجهها عديدة، اقتصادية وعسكرية ودبلوماسية، حيث تجسد هذا التعاون بمختلف أوجهه في عقد معاهدات وتبادل مراسلات بين البلدين ومن أهم المعاهدات الاقتصادية ، اتفاقية عقدت في 08مارس 1707م<sup>(1)</sup> بين لويس الرابع عشر والداي محمد بكداش<sup>(2)</sup> .

وحتى عام 1730 لم يطرأ على العلاقات بين البلدين أي توتر حاد، و بدأ كأن الآلية السلمية التي أقيمت قادرة على مجابهة كل المشاكل التي تنشأ بين الطرفين<sup>(3)</sup> ، فتوالى تجديد المعاهدات بين البلدين، والتي يحمل أغلبها طابع السلم والتجارة، من بينها معاهدة في 16 جانفي 1764 وعقدت معاهدة أخرى للسلم والتجارة في 10 جوان 1768، وبعد وفاة لويس الخامس عشر في 1774، وخلفه لويس السادس عشر الذي أكد حرصه على السلم والصداقة بين البلدين<sup>(4)</sup> .

لقد تطورت هذه العلاقات بشكل إيجابي في عهد الثورة الفرنسية، حيث اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة في الوقت الذي كانت فيه تحت حصار أوروبي محكم، وتكونت بين الدولتين علاقات ودية باستثناء الحملة الفرنسية على مصر (1798-1802)، وفي 1796 أقرضت الجزائر حكومة الثورة مليون فرنك بدون فائدة من أجل أن تشتري فرنسا الحبوب، وقد لجأت فرنسا أيضا إلى اليهوديين الجزائريين

<sup>(1)</sup> مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج2، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007،

ص 82.

<sup>(2)</sup> تولى الحكم سنة 1707 ومات قتيلا سنة 1710 على يد الداوي دلي إبراهيم آغا، ينظر: بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 112.

<sup>(3)</sup> قنان، معاهدات ...، المرجع السابق، ص 179.

<sup>(4)</sup> مولود قاسم، مرجع سابق، ص 90.

بكري وبوشناق ليقوما بالدفع بدلها حيث شكل تدخل هذين اليهوديان جزءا أساسيا في تأزّم العلاقات بين البلدين<sup>(1)</sup>.

## 2- مظاهر التوتر والعداء:

تميزت العلاقات بين البلدين في هذه الفترة بالهدوء أحيانا وبعوض التوتر أحيانا أخرى، ومما يجدر ملاحظته هو ظهور ما يمكن تسميته بمشكلة القناصل الأوروبيين الذين لم يقوموا بمهامهم في هدوء ورزانة، وإنما كانوا عنصر قلق واضطراب للعلاقات بسبب تصرفاتهم التي تعتبرها السلطات الجزائرية تصرفات غير مقبولة، مما دفعنا إلى المطالبة بتغيير هؤلاء القناصل من حين لآخر<sup>(2)</sup>.

كما احتج داي الجزائر إبراهيم في مراسلة في أبريل 1736 على ما قام به الفرنسيون بأسر عدد من البحارة، اضطروا بسبب سوء الأحوال الجوية إلى اللجوء للسواحل الفرنسية، فافتك الفرنسيون من السفينة الأسرى الأسبان و عاملوا الطاقم الجزائري معاملة سيئة، وهذا تناقض مع روح الصداقة والوفاق بين الجزائر وفرنسا<sup>(3)</sup>، ويلاحظ أن داي الجزائر طلب من السلطات الفرنسية استبدال القنصل لومير "Loumir" بقنصل آخر وبتأخر استبداله<sup>(4)</sup> طرد القنصل من الجزائر عام 1734 وبالرغم من طرده عاد إلى الجزائر في 18 أفريل 1735، وقد خلفه القنصل ألكسيس جان أوشاش "Alexis Jean Ouchach" في ماي 1735<sup>(5)</sup> وبالتالي هدأت العلاقات بين البلدين.

(1) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، ط3، ش.و.ن.ت، الجزائر،

1982، ص ص13-14.

(2) قنان، مرجع سابق، ص 186.

(3) أوجان بلانتيت، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، ترو تحقيق

إلياس وسلامنية بن داود، ج2، ط1، دار الوعي، روية، الجزائر، 2014، ص ص364-365.

(4) بلانتيت، نفسه، ص 361.

(5) Albert Devoux. les archives du consulat général de France à Alger, Marseille,

Bastide, lib-Ed, 1865, p p 38-39.

وخلال عام 1752 وقعت حادثة كادت أن تؤدي إلى القطيعة بسبب صدام عسكري حيث أشارت السفينة الجزائرية للسفينة الفرنسية بالتوقف، إلا أن هذه الأخيرة بادرت بإطلاق النار فنشبت معركة وقتل 80 جندي تركي، لكن تم الاستيلاء على المركب الفرنسي وصودرت شحنته وتم أسر ملاحيه ومعاقبة ربان المركب الذي مات في اليوم الموالي<sup>(1)</sup>، وكادت هذه الحادثة أن تؤدي لنشوب الحرب بين البلدين. بحلول سنة 1793 وبعد تنفيذ الإعدام في لويس السادس عشر، وعادت السياسة العليا إلى النظر في الصدام مع الجزائر ومحاولة توريث الداوي في الحرب، الذي أصبح يعتمد كلياً على اثنين من تجار اليهود، وهما نفتالي بوشناق ويوسف بكري، اللذين أصبحا يسيطران على حكومة الإيالة والذين أدركا بأن الفرنسيين سيكونون هم الفائزين في أوروبا بعد 1794، فأخذوا يميلان نحو فرنسا<sup>(2)</sup>، وقد تحولت أنظار الفرنسيين نحو مصر في تنافسهم مع البريطانيين بفكرة بأن مالطا هي مفتاح مصر وأن مصر هي مفتاح الهند<sup>(3)</sup>، فانطلق الأسطول الفرنسي من ميناء طولون بـ 20 ألف جندي في ماي 1798 ووصلوا إلى مالطا في 09 جوان 1798<sup>(4)</sup>.

وبالتالي فقد عرفت العلاقات السياسية بين البلدين تذبذباً، فقد تخلل السلم والتعاون فترات من النزاع والتوتر بين البلدين أدت في كثير من الأحيان إلى انقطاع العلاقات بينهما، لكن لم يدم هذا الانقطاع فسرعان ما تتجدد هذه العلاقات لترتبط البلدين من جديد.

### المخططات الفرنسية لاحتلال الجزائر قبل نابليون بونابرت:

بعد توقيع صلح طويل بين الجزائر وفرنسا بداية من 24 سبتمبر 1689، والذي عرف بمعاهدة السلم المثوي، حيث عبر الفرنسيون عن رغبتهم في التفاهم والصدقة وإعادة العلاقات الحسنة بين الدولتين<sup>(5)</sup>. فاغتنمت فرنسا فرصة السلام

(1) H. De Grammont. *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*, Ernest Leroux, Paris, 1887, p307.

(2) وولف، المرجع السابق. ص ص 440-441.

(3) Juan Cole, *Napoleon's Egypt, Invading The middle east*, first published, Palgrave Machilan, New York, 2007, p09.

(4) Ibid., p01.

(5) نفسه، ص 355.

السلام التي أعقبت هذا الصلح وقررت عام 1741 إدماج حصن فرنسا والشركة التي تملكها بتونس في شركة واحدة، باسم الشركة الملكية الإفريقية "compagnie D'Afrique Royal" وجعلت مركزها في القالة وأخضعها لنفوذها، وفي هذه الفترة اقترح المهندس الفرنسي ريكارد "Ricard" الذي كان أسيرا لمدة طويلة بالجزائر أن ترسل فرنسا حملة برية من الفرسان لاحتلال الجزائر، ولكن الملك الفرنسي لويس الخامس عشر (1715-1774) "LouisXV" أثار استعمال الوسائل السلمية الدبلوماسية بدلا من وسائل العنف والقوة التي لم تفد أسلافه من قبل<sup>(1)</sup>.

وبالرغم من العلاقات التي كانت تعتبر حسنة، إلا أن نية العدوان كانت قائمة منذ زمن، وبأن الرغبة في احتلال الجزائر ليست رغبة طارئة<sup>(2)</sup> ودليل ذلك أن فرنسا كانت لها مشاريع كثيرة لغزو الجزائر، ويمكن أن نذكر منها ما كان في أواخر القرن 18م، ألا وهو المشروع الذي أعده دوكرسي DEKERCY<sup>(3)</sup>.

1- مخطط دوكرسي الأول 1782:

(1) بوعزيز، الموجز... المرجع السابق، ص104.

(2) محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، ط1، م.و.إن.إش، الروبية، الجزائر، 1994، ص25.

(3) أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م-1830م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص172.

في 07 ماي 1782 حرر دوكيرسي<sup>(1)</sup> مذكرة حول الجزائر بقصر فارسي قبل التحاقه بالقنصلية الفرنسية في الجزائر، وكانت المذكرة في شكل مسودة سلمها لوزارة الخارجية. ولم تكن خطة مطبوعة أو منهجية واضحة لتحريها، بل كان متحمسا في دفع بلاده إلى إرسال حملة عسكرية ضد الجزائر وحققه الذي لا حد له على إيالة الجزائر جعله يسرد أحداثا هامة لكن بدون انتظام، لذلك وجدنا تكرار لبعض المعلومات، ولاسيما فيما يتعلق بحالة القناصل المتردية حسب وصفه<sup>(2)</sup>.

فقد ألح دوكيرسي على ضرورة إرسال حملة عسكرية ضد إيالة الجزائر وقدم اقتراحات حول سبل تحقيق نجاحها، وأثبت بأن الجزائر أصبحت قوة بحرية حقيقية بتحسيناتها وبطارياتها وبمدافعها يحسب لها ألف حساب فلذلك ألغى من ذهنه فكرة خوض حرب بحرية مع الجزائر، وحسب اهتمامه في رسم خطة على أساس استعمال جيش بري فقط، وأوصى بالنزول غرب الجزائر دون تحديد النقطة وتنصيب التحصينات ثم الزحف برا نحو المدينة بفرقتي المشاة والمدفعية لصد الجزائريين ثم ضرب حصار بري محكم للاستيلاء عليها من الخلف،<sup>(3)</sup> لكن كيرسي لم يزود مشروعه بخرائط جغرافية أو تبوغرافية، ولم يدعم معلوماته بمخططات أو تصميمات، فخطته العسكرية كانت نظرية بحتة، فلم يوضحها في رسم بياني تجعلها قابلة للتطبيق، فقد كتب هذه المذكرة في سبعة عشر ورقة بعد مغادرته الجزائر متوجها نحو باريس<sup>(4)</sup>.

ومن الملاحظ أن القنصل الفرنسي كيرسي، بدأ يفكر في ضبط مشروع لاحتلال الجزائر، منذ عام 1782، وظل يفكر طيلة تسع سنوات، إلى أن قدم مذكرته هذه إلى الخارجية الفرنسية في عام 1791.

## 2- مخطط دوكيرسي الثاني 1791:

<sup>(1)</sup> جان بابتيست ميشال دوكرسي القنصل العام لفرنسا، المكلف بالأعمال في مملكة الجزائر من سنة (1782-1791) كان من بين الأشخاص في أزمة السفينة التي تم قرصنتها في جنوب فرنسا سنة 1788، ينظر: Devoulx, Op-cit, p127.

<sup>(2)</sup> فريد بنور، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830، ن.ت، مؤسسة كوشكار، 2008. ص ص 07-09.

<sup>(3)</sup> قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 19-20.

<sup>(4)</sup> بنور، المرجع السابق، ص ص 58-59.

قد حدد في هذا المشروع النقطة التي يدخل منها الفرنسيون إلى أرض الجزائر، إذ يقول فيما يتصل بهذه النقطة «إن الفكرة المنتشرة عن أنسب مكان للنزول هو المكان المسى سيدي فرج، فمن هناك يمكن الوصول إلى حصن الإمبراطور من ناحية البحر، أما من جهة البر فلا تكاد ترتفع أسواره إلا بمقدار 25 أو 30 قدما... ومن السهل اتقاء مدفعه من هذه الناحية، وعندما يسيطر الإنسان على هذا الحصن يصبح سيد المدينة». أما التكاليف التي تتطلبها العملية، فإن القنصل المذكور يؤكد أن كنوز القصب، أي خزينة الدولة الجزائرية كافية لتغطية المصاريف<sup>(1)</sup>.

كما تطرق في التقرير إلى الداي وصفاته وتصرفاته والتي أصر القنصل على أن يجعلها كلها سلبية، كما أشار إلى وكيل الحرج أيضا وقال بأنه يكن أشد الأحقاد للفرنسيين واتهمهم بالخبث والإجرام، بل سمح لرياس البحر بمهاجمة سفنهم وشرع كيرسي في تعداد "المضايقات" التي تعرض لها الفرنسيون من قبل رياس البحر، لكنه لم يذكر أبدا المضايقات والمخالفات والتصرفات المخالفة للقوانين التي قام بها الفرنسيون ضد الجزائر<sup>(2)</sup>.

ورغم أهمية ذلك المشروع فإن الحكومة الفرنسية لم تتمكن من تنفيذه آنذاك، نظرا لانشغالها بأموورها الداخلية فضلا عن أن العلاقات الفرنسية الجزائرية في تلك الفترة بالذات شهدت تحسنا ملحوظا إذ عمد قادة الثورة الفرنسية إلى توطيد علاقاتهم بحكام الجزائر، كما أرسلت الجزائر إلى فرنسا عدة شحنات من القمح واللحوم والجلود والزيوت بالإضافة إلى قروض مالية، فتمكنت فرنسا بفضل تلك المساعدات من القضاء على المجاعة التي كانت تهدد سكانها آنذاك<sup>(3)</sup>.

### المخططات الفرنسية لاحتلال الجزائر في عهد نابليون بونابرت:

في عام 1800 نجح بونابرت في عقد اتفاقيات هدنة مع دول المغرب<sup>(4)</sup> ففي الأسبوع الأخير من شهر ماي تلقى القنصل تانفيل أمرا بالتوجه إلى الجزائر للتفاوض

(1) الميلي، المرجع السابق، ص 276.

(2) نفسه، ص 63 وما بعدها.

(3) شويتام، المرجع السابق، ص 173.

(4) بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص 105.

من أجل إعادة العلاقات بين الدولتين ولقد زوده وزير الخارجية تاليران "Talleyrand" بتعليمات محددة حول مهمته التي أقرت من طرف القنصل الأول بونابرت الذي كان بإيطاليا<sup>(1)</sup> والتي تمثلت في إبرام الصلح وإعادة العلاقات مع الجزائر والسعي لإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الموجودين في الجزائر<sup>(2)</sup>. وبالرغم من هذا التصالح فإن نابليون بدأ في إعداد مشروع غزو تلخصت أهدافه في احتلال دول المغرب العربي وجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية والقضاء على التفوق الإنجليزي وتحقيق حملة عسكرية جديدة ضد مصر والمشرق<sup>(3)</sup>، فأعد فرانسوا فيليب لوماي "François Philip le Maye"<sup>(4)</sup> مخططا مختصرا جدا وغير دقيق وغامض بعض الشيء.

### 1- مخطط لوماي 1800:

كان المخطط العسكري الذي أعده لوماي مختصرا وغامضا بالرغم من أنه قام باستطلاع مدينة الجزائر وضواحيها، وجاب عدة جهات، وتنقل من مكان إلى آخر أثناء أسره كما صرح بذلك شخصيا، إضافة إلى ذلك أن فترة تواجده هناك من 10 أبريل 1799 إلى 07 سبتمبر 1800 مدة 16 شهرا كانت كافية للاطلاع على الأوضاع ولدراسة المنطقة طبوغرافيا بكل التفاصيل والدقة والوضوح<sup>(5)</sup>. وقد اقترح لوماي النزول في شرق وغرب مدينة الجزائر في وقت واحد ولكنه لم يعين النقطتين تعيينا محددًا، أما عن المدة فاقترح أنها تكون سريعة في ظرف 48 ساعة، ولم يشر إلى الفصل الملائم لإرسال الحملة، كما أوصى الفرنسيين في حال نجاح الحملة بالاستيطان عن طريق الاستيلاء على الأراضي الزراعية.

(1) قنان، العلاقات.....، المرجع السابق، ص 113.

(2) مولود قاسم، المرجع السابق، ص 167-168.

(3) Leo Berjaud, **Boutin agent secret de Napoleon 1<sup>er</sup> précurseur de l'Algérie**

**Française**, ED Frédéric chambriand, Paris, p p85-86.

(4) ولد عام 1772 بمدينة فيينا وفي 1792 أصبح ضابطا في المدفعية وشارك في حروب الثورة الفرنسية في المحيط الأطلسي وجبال الألب وإيطاليا وقاوم الروس والأتراك في الشرق وارتقى إلى رتبة عقيد وقبطان على الحامية العسكرية بجزيرة كوفور، ووقع أسيرا بيد البحارة الجزائريين وبقي في مدينة الجزائر 16 شهرا. ينظر: بنور، المرجع السابق، ص 136-137.

(5) - بنور، المرجع السابق ، ص 155.

## 2- مخطط ديبواتانفيل 1801:

لقد ساهم القنصل ديبواتانفيل مساهمة كبيرة في توتير المواقف بين البلدين وجعل علاقاتهما تقف على فوهة بركان وفي حالة من التشنج المستمر، فقد كان متحاملا على الجزائر وسعى دائما إلى تأليب حكومته ضد هاته البلاد والدعوة إلى غزوها في كل مناسبة. فقد اعتبر الصانع لسياسة فرنسا الخارجية نحو الجزائر وفقا لمزاجه ورؤيته الذاتية وطموحاته الشخصية ومصالحه المادية والمعنوية، ولقد صادف تحركات هذا القنصل واندفاعاته هوى في نفس نابليون الذي كان يريد أن يثأر للهزيمة التي لحقت بمشروعاته في مصر، بغزو واحتلال المغرب الإسلامي، انطلاقا من الجزائر ووضعه تحت هيمنته وسيطرته<sup>(1)</sup>.

## 3- مخطط تانفيل 1809:

وفي 18 نوفمبر 1809 حرر تانفيل مذكرة ثانية حول الجزائر سلمها مباشرة لوزير العلاقات الخارجية دي شامبايني "De champagnie" في 26 ورقة تضمن هذا المشروع شتى المواضيع من مساحة المملكة والمدن الرئيسية والسكان ومختلف طبقاتهم وطبائع السكان والقوات البرية والبحرية ومداخيل ونفقات الدولة والعملية والمناخ والزراعة والتجارة والأسرى وأخيرا الدول التابعة للجزائر.

خاصة وأن تانفيل كان على علم بأن نابليون كان قد عقد العزم منذ عهد القنصلية على إرسال حملة عسكرية ضد الجزائر، ثم عاد مرة أخرى إلى التفكير بجدية في هذه النقطة في عهد الامبراطورية، فأرسل الضابط المهندس بوتان لاستطلاع المدينة وضواحيها، فكان تانفيل هو الذي استقبل هذا الجاسوس عندما حل بالإيالة عام 1808 وسهل له القيام بمهمته<sup>(2)</sup> وقد بقي تانفيل قنصلا في الجزائر حتى سنة 1814، فاستدعي من طرف حكومته وأوكلت له مهام دبلوماسية أخرى بمدينة تونس، وعينت بياردوفال "Pierre De valle" خلفا له<sup>(3)</sup>.

## 4- مخطط تيدينا 1802:

(1) قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص ص 236-237.

(2) بنور، المرجع السابق، ص ص 188-189.

(3) Plantet, Op-cit, pp 522-523.

ولد تيدينا في 1758 في يوزيس، أسر من طرف البحارة الجزائريين على متن مركب إسباني، واشتراه باي معسكر 1779، تدرج في الرتب حتى أصبح خزندار باي الغرب، وبعد تحرره من الأسر خدم أميننا لنابليون بونابرت وكتب مذكراته في مستشفى زيوريخ أثناء مرضه<sup>(1)</sup>، أما فيما يخص مشروعه فقد حرره بتاريخ 18 أوت 1802 في ستة أوراق بعنوان نظرة حول إيالة الجزائر رغبة منه في تلبية طلب نابليون إلى كل من له اطلاع بأحوال الإيالة بكتابة تقرير عنها من أجل غزوها، وقد سجل في هذه المذكرة كل ما يعرفه عن الجزائر مبديا ملاحظات واقتراحات وآراء حول إمكانية النزول وغزو الإيالة واحتلالها<sup>(2)</sup> مستغلا معرفته لها يوم أن كان أسيرا لعدة سنوات، فقد لخص حالة الجزائر السياسية والعسكرية والاجتماعية<sup>(3)</sup>.

كما ذكر أن سلطة الداوي والبايات الثلاث قائمة على أقلية من العسكريين ذوي الامتيازات (قطاع طرق حقيقيون ومخربو البلاد)، وأن القوة يدعمها الداوي المستبد في الجزائر، وقائمة على جبن الدولة التجارية المستعدة دائما لدفع الإتاوة، وأن حملة عسكرية مدبرة أحسن تدبير ستجعلها سيدها البلد ولا تكلف شيئا للحكومة، لأن الاستيلاء على ثروة الداوي المحفوظة في الكنز تغطي كل المصاريف، وقدم خطة حربية اقترح فيها إرسال جيش إلى مدينة تنس، ثم القيام بمحاصرة الجزائر لفرض أمر الواقع على الداوي ليسلم الذهب وكل المراكب الحربية، و بالتالي تتمكن فرنسا من جعل الإيالة دولة متحضرة وتجارية<sup>(4)</sup>.

واعترف بأن الهجوم البحري على مدينة الجزائر عملية صعبة جدا، إن لم تكن مستحيلة بالإشارة إلى التحصينات المرعبة والمنيعة، لكنه أعد مخططا عسكريا حدد فيه نقطة الإنزال، وطريق الجيش الذي يسلكه وطريقة الهجوم، فأشار إلى ضواحي تنس بالساحل الغربي للإيالة<sup>(5)</sup>.

(1) احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، ط.ن.ت دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2009، ص 24 وما بعدها.

(2) بنور، المرجع السابق، ص 295.

(3) بوعزيز، المرجع السابق، ص 106.

(4) عميراوي، المرجع السابق، ص ص 29-30.

(5) بنور، المرجع السابق، ص ص 306-307.

لكن نابليون قد تخلى عن فكرة توجيه الحملة لانشغاله بمناطق أخرى واكتفى بمناورة بحرية في غرب المتوسط، وأرسل مبعوثين إلى الجزائر للتفاوض مع الداى بشأن الخلافات القائمة بين البلدين لإيجاد حلول لها وهذان المبعوثان هما هولان "Hulin" و"بيرج" Berge<sup>(1)</sup>.

#### 5- مخطط هولان 1802:

بعد عدول نابليون عن غزو الإيالة قرر إرسال قطعة من الأسطول بقيادة الأميرال ليسيع "Lissigue" إلى مدينة الجزائر<sup>(2)</sup>، وكلف الضابط هولان بمهمة وحمله إنذارا إلى الداى بأن يوقف اعتداءاته على فرنسا في المتوسط، أو أنه سيقود الحملة ضده بنفسه، وفي 16 سبتمبر 1802 وجه إلى الداى رسالة أخرى شديدة اللهجة استنكر فيها مطالبة بعض وزرائه بتسديد الديون وطالب بتقديم الترضية اللازمة، وإلا سيبعث حملة انتقامية من ثمانين ألف جندي للقضاء عليه وعلى نظامه وحكومته<sup>(3)</sup>.

وفي باريس أعد مشروعا عنوانه: «ملاحظات حول الجمهورية الجزائرية» في 09 أكتوبر 1802، ويحتوي المشروع على 11 ورقة، وقد سلم هذا المشروع مباشرة إلى نابليون وتضمن المشروع الوضع بمدينة الجزائر بكل التفاصيل، من حكومة وسكان وقوات عسكرية وتجارية ومداخيل الدولة والأسرى والقضاء، وورد في هذا التقرير بأن القوات العسكرية تتمثل في الجيش البري والمدفعية والأسطول البحري، ووضع هولان جدولا مفصلا بعدد السفن ونوعها ومدافعها ومكان وزمان صناعتها، وبين أن هناك نزاعات دائمة وخلافات مستمرة بين السكان والأتراك<sup>(4)</sup>. وبالرغم من أن السلطات الفرنسية أولت عناية خاصة بهذا المشروع وتحمس تاليران له، فإن نابليون رأى بأن الظروف الراهنة لا تسمح بتوجيه الحملة وأن تدمير الجزائر يتطلب وقتا كافيا للتحضير<sup>(5)</sup>.

#### 6- مخطط بيرج 1802:

<sup>(1)</sup> نفسه، ص 324.

<sup>(2)</sup> نفسه، ص 326.

<sup>(3)</sup> بوغيز، الموجز...، المرجع السابق، ص 106.

<sup>(4)</sup> بنور، المرجع السابق، ص 329 وما بعدها.

<sup>(5)</sup> نفسه، ص 347.

هو جنرال وضابط مدفعية عين سنة 1802 من أجل استطلاع دفاعات وتحصينات الجزائر والذي كان من بين الضباط الخمسة في اللجنة العسكرية التي كونتها وزارة الحربية ما بين جويلية وأوت 1828 من أجل اعداد مخطط لغزو الجزائر<sup>(1)</sup>.

وصل بيرج إلى الجزائر على متن سفينة "LaMutine"، وسلم الرسالة إلى الداى وشرع في القيام بمهمته السرية التي كلف بها، فاستطلع المنطقة واكتشفها بحذر شديد حتى لا يثير الشبهات، ورغم الظروف الصعبة فقد تمكن في وقت وجيز من الزمن من فحص مدينة الجزائر ودراستها تبوغرافيا، كما تحرى ساحلها وسبر الميناء، ووصف القلاع والأبراج وصفا كاملا ودقيقا، وجمع معلومات حول خليج مدينة الجزائر، ورسم خريطة لضواحي الجزائر وصورة شاملة للمدينة وساحلها.

عاد المبعوث إلى الجزائر وسلم مخططة العسكري للقنصل الأول نابليون مباشرة لكن هذا الأخير اضطر إلى تأجيل تنفيذ المشروع بسبب أن الداى قدم ترضيات على جميع مطالب الفرنسيين وقيام الحرب بين فرنسا وإنجلترا<sup>(2)</sup>، وفي عام 1805 خلق الفرنسيون الأعدار من جديد واغتنموا هذه المرة تعرض القباطنة الجزائريين لبعض السفن الإيطالية، التي أصبح من اختصاصهم حمايتها، فأرسل نابليون حملة إلى الجزائر بقيادة أخيه جيروم "Jérôme" لإطلاق سراح الأسرى لكن الداى تجنب الصدام وأطلق سراح 230 أسير، وسرعان ما عاد الجزائريون إلى مهاجمة السفن الفرنسية خاصة بعد انهزام الأسطول الفرنسي في الطرف الآخر، وكان ذلك سببا في حصول تقارب بين الجزائر وبريطانيا، نتج عنه اتفاق عام 1807، حصلت بريطانيا بموجبه على تسلم مركز القالة من الفرنسيين واستغلاله لمدة 10 سنوات<sup>(3)</sup>

وكان نابليون مصرًا على أن مناطق حكمه لا تحتاج إلى حماية من الجزائر، وفي تيلسيت "Tilsit" اتفق هو والقيصر الروسي الإسكندر "Alexander" على أن نابليون يمكنه عندما يكون مستعدا الاستيلاء على الجزائر و أقاليهما كمستعمرة تابعة

(1) Prince sixt de Bourbon, **la dernière conquête du Roi-Alger 1830**, Cullman-Lévy- Ed, Paris, 1930, p67.

(2) بنور، المرجع السابق ، ص ص350-351.

(3) بوعزيز، الموجز... المرجع السابق، ص 107.

للدولة الفرنسية، ولم يكن يرضى بأن تدفع الدول التابعة له الإتاوة إلى الجزائر، وبتفاهة السري مع الإسكندر كان له الترخيص الروسي باحتلال الجزائر، وفي سنة 1808 أرسل نابليون المهندس بوتان "Boutin" إلى الجزائر لوضع تصميم لمشروع الاحتلال<sup>(1)</sup>، وقد قام بهذه المهمة التجسسية وجمع معلومات عسكرية واقتصادية وسياسية على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية<sup>(2)</sup>، لكن المشاكل التي ظهرت في اسبانيا أجبرت نابليون على تأخير غزو الجزائر<sup>(3)</sup>.

### خاتمة:

ومما سبق نستنتج أن النوايا الفرنسية لاحتلال الجزائر لم تكن وليدة حادثة المروحة كما روجت لها الكتابات الفرنسية، بل كانت حلم قديم راود حكامها الذين أعدوا الخطط والمشاريع لغزوها، حيث أنّ العلاقات بين الجزائر وفرنسا خلال القرن 18 م بالرغم من توترها إلا أنها لم تبلغ مرحلة الانسداد بسبب خضوعها لمعاهدة السلم المنوي، خاصة أنّ الوضع السياسي الداخلي لكل من البلدين كان له دور في التأثير على طبيعة هذه العلاقات، إضافة أنّ فرنسا كانت في الكثير من الأحيان تعمل بنصائح قناصلها، وبالتالي ساهم هؤلاء في توجيه دفّة العلاقات وطبعها بالسير الحسن أو التوتر.

إن الرغبة الفرنسية في غزو الجزائر ازدادت كثيرا خاصة في عهد بونابرت عبر عدة مشاريع تميزت بكونها لم تكن مبنية على أسس علمية وبعضها كانت آراء و أهواء شخصية، ماعدا تقرير بوتان الذي كان دقيقا ومؤسسا علميا وهندسيا، والذي اعتمدت عليه وزارة الحربية كمشروع نهائي لتسيير الحملة ضد الجزائر.

(1) وولف، المرجع السابق، ص ص442-443.

(2) قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص243.

(3) وولف، المرجع السابق، ص443.